المملكة العربية السعودية
وزارة التعليـــم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمـــادة البحـث العلمـــي

رؤيـــة VISION 2030
المملكة العربية السعودية
KINGDOM OF SAUDI ARABIA

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية دوريّة محكّمة

العدد التاسع والسبعون
محرم 1448هـ يوليو 2026م

موقف الأفراد في المجتمع السعودي نحو التبليغ عن شبهات الفساد المالي والإداري والآثار المترتبة على الشخص المبلغ عنها (دراسة تطبيقية على عينة من أفراد المجتمع السعودي)
د. طرفة زيد عبد الرحمن بن حميد

سمات البيئة الجاذبة للعمل التطوعي من وجهة نظر أعضاء الفرق التطوعية بمدينة الرياض (دراسة ميدانية وصفية مطبّقة على أعضاء الفرق التطوعية بمدينة الرياض)
د. سمية بنت عبد الرحمن بن سلامة المزيني

جهود العلماء في مقاومة الدولة العبيدية الإمام أبو بكر النابلسي نموذجاً (ت363هـ 973م)
د. شامخ زكريا مفلح علاونه

دور الجمعيات الخيرية في التنمية المجتمعية وتعزيز الاستدامة دراسة مشروع ابتكاري في المملكة العربية السعودية
عبد الرحمن السندي وعماد زعيم

The Transfer of cultural aspects of Maqamat of Badie Al-Zaman in English literature: A Contrastive Study
Dalia Abdelwahab Massoud Abdelwahab

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
imsiujhss@imamu.edu.sa

المشرف العام:

الأستاذ الدكتور / أحمد بن سالم العامري

معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام:

الدكتور / نايف بن محمد العتيبي

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير:

أ. د. ظافر بن محمد القحطاني

أستاذ علم النفس

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدير التحرير:

د. أسماء بنت منصور المشرف

أستاذ اللغة الإنجليزية المشارك

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. زهير بن عبد الله الشهري

قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. هيفاء بنت يوسف الكندري

قسم الخدمة الاجتماعية بجامعة الكويت

أ. د. علي عقله نجادات

كلية الإعلام بجامعة البترا

أ. د. سطم بن صالح الجوعاني

قسم المحاسبة بجامعة تكريت

أ.د. عبد الرحمن محمد الحسن أحمد

قسم الجغرافيا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ. د. محمد لخضر قويدر روبي

قسم علم النفس بجامعة البحرين

د. جوزيف فرنسيس إنجمان

جامعة ولاية نيويورك في بوفالو

د. دانيال بيلي

جامعة كونكوك

د. أندريا راكوشين لي

جامعة ولاية أوستن بي

د. سعد بن سعيد ربحان

أمين تحرير المجلة

جهود العلماء في مقاومة الدولة العبيدية
الإمام أبو بكر النابلسي نموذجاً (ت٣٦٣هـ ٩٧٣م)

إعداد:

د. شامخ زكريا مفلح علاونه

قسم تعليم الاجتماعيات، كلية العلوم التربوية، جامعة القدس المفتوحة

The Efforts of Scholars to Resist the Ubaydid State. Imam Abu Bakr al-Nabulsi, As an Example (363 AH/973 AD)

Prepared by:
Shamekh Zakaryia Mufleh Aalawneh

Department of Social Studies
Faculty of Educational Sciences/Al-Quds Open University

shamekhalawneh@gmail.com

تاريخ ورود البحث ٢٠٢٤/١٢/٨م

تاريخ قبول البحث ٢٠٢٥/٤/١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة:

تتناول الدراسة حياة الإمام محمد بن أحمد الرملي المعروف بأبي بكر النابلسي، صاحب الجهود الدينية والسياسية البارزة في الوقوف ضد المذهب الشيعي العبيدي، والمفتي بوجوب الثورة على الدولة العبيدية كنظام حكم سياسي، وعلى المذهب الشيعي بشكل عام كمذهب ديني؛ لأنهم غيروا الملة، وقتلوا الصالحين، وادعائهم الألوهية، كما جاء البحث على نسبه وحديثه وتلاميذه وحياته والوضع العام في بلاد الشام في ظل حكم الدولة العبيدية، وأسباب ثورته، ونص فتواه الشرعية التي تجيز قتال العبيدين، كما تطرق البحث إلى انتقاله من نابلس إلى الرملة بسبب سيطرة القرامطة عليها، وهروبه من الرملة إلى دمشق وإلقاء القبض عليه من قبل واليها وإرساله للمعز لدين الله العبيدي هناك، ومن ثم سلخه حياً وقتله؛ وجاء البحث على مسجده في مدينة نابلس وتاريخ بنائه، ونقوشه التوثيقية وسبيله.

الكلمات المفتاحية:

عصور وسطى، نابلس، مسجد الساطون.

Abstract

The study examines the life of Imam Muhammad ibn Ahmad al-Ramli, known as Abu Bakr al-Nabulsi, who made significant religious and political efforts to oppose the Shiite Ubaydid sect. He issued a fatwa urging a revolt against the Ubaydid state as a political system of government, and against the Shiite sects in general as a religious sect, because they changed the religion, killed righteous people, and claimed divinity. The study also examines his lineage, hadith, disciples, life, the general situation in the Levant under the rule of the Ubaydids, the reasons for his revolt, and the text of his fatwa permitting the fighting of the Ubaydids. The study also addresses his move from Nablus to Ramla due to the Qarmatians' control of the city, his escape from Ramla to Damascus, his capture by its rulers, and his dispatch to al-Mu'izz li-Din Allah al-Ubaydid, where he was flayed alive and killed. The study also examines his mosque in Nablus, the history of its construction, its inscriptions, and its sabil.

Keywords:

Middle Ages, Nablus, Alsatun Mosque

مُقدِّمة

تُعد ثورة أبي بكر النابلسي الرملي أنموذجاً جديداً من الثورات التي تمثلت بالثورة على النظام السياسي والمتمثلة برفض الظلم والتسلط بالحكم والاستبداد؛ والثورة على المذهب كمعتقد ديني؛ وذلك من خلال إصدار فتوى تتضمن الأمر بقتال السلطة الحاكمة وعدم اتباع المذهب الشيعي في نواحي نابلس؛ وإصداره فتوى شرعية تطالب بقتال العبيديين مع معرفته للعواقب الوخيمة المترتبة على فتواه، لذلك كانت المحنة التي بُلي بها الإمام أبو بكر النابلسي الرملي، بعد أن أصرّ على فتواه أمام الخليفة المعز لدين الله العبيدي ولم ينكرها، وكانت نتيجة ذلك أن عُذب وسُلخ حياً وحُشي بالتبن وصُلب لكي يكون عبرةً للناس.

إن عقوبة السلخ في الدولة الإسلامية للمعارضين أو الخارجين عن الأوامر السلطانية أو الأميرية عرفت منذ الدولة الأموية حتى العصر المملوكي، فقد طُبقت على رجال السلطة في الدولة الإسلامية وبعض الوزراء ومن في مراتبهم الوظيفية ولم تشفع لهم خدمتهم للأمراء والسلاطين من النجاة بأنفسهم لاتهامهم بالمؤامرة على السلاطين والخلفاء، وطُبقت كذلك على الثوار أو الثائرين الخارجين على الدولة ويعد الإمام النابلسي أنموذجاً لهذا النوع من الفئة، كما طبقت على عامة الناس ممن خالفوا الأوامر السلطانية ولم تُستَثن النساء من تلك العقوبة فهناك نماذج كثيرة لسلخ بعض النساء أسوة بالرجال في الدولة الإسلامية.

أدبيات البحث:

١- كلبونه، عبد الله. المساجد التاريخية في مدينة نابلس، رسالة ماجستير، جامعة القدس/أبو ديس، ١٩٨٨.

٢- علاونه، شامخ. نقوش محافظة نابلس في العهدين المملوكي والعثماني، رسالة

ماجستير، جامعة القدس، أبو ديس، ١٩٨٨.

٣- قعقور، فداء. الأسبلة المائية في العمارة الإسلامية، حالة دراسية مدينة نابلس، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية. ٢٠١٠

أهمية الموضوع

تكمن أهمية موضوع البحث في إظهار جهود العلماء المسلمين في مواجهة الدولة العبيدية ومعتقداتها الضالة وبيانها، بالإضافة إلى تسليط الضوء على أحداث تاريخية مهمة تكاد تعد ثانوية بالنسبة لبعض المؤرخين والباحثين وأغفلت دراستها وتناولها، وإلقاء الضوء كذلك على الإرث المعماري الذي يتمثل في مسجد الشيخ أبي بكر النابلسي والنقوش التاريخية ومدلولاتها التي يُنشر بعضها لأول مرة في هذا البحث.

أهداف البحث

أما أهداف البحث فتتلخص في إظهار جانب من جوانب التاريخ السياسي والمشاكل التي تمخضت عن إحداث تغيير في المذاهب بحسب كل دولة.

منهج البحث

لقد اتبع المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي في موضوع البحث، حيث حُدّدت وحُصرت المصادر والمراجع التاريخية التي أتت على ذكر موضوع البحث، ومن ثم قُسّم البحث إلى عناوين فرعية بشكل متسلسل، بالإضافة إلى النتائج وقائمة المصادر والمراجع.

أولاً: أبو بكر النابلسي نسبه وحياته:

هو الإمام القدوة العالم المجاهد، أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل الرملي، ويعرف بابن النابلسي، وهو أحد شيوخ وفقهاء ودعاة مدينة نابلس، وله مسجد في مدينة نابلس، واستمدت نابلس أهميتها من موقعها الجغرافي والاستراتيجي

المميز، وتلفظ بفتح النون بعدها ألف، وضم الباء الموحدة، واللام والسين مهملة في آخرها(الحموي، ياقوت، ج٥،ص ٢٤٨)، والتسمية مأخوذة من Neapolis بمعنى المدينة الجديدة وذلك تمييزاً لها عن Shechem القديمة التي ثارت على الرومان مما دفع الإمبراطور الروماني نيرون (٥٤-٦٨م) إلى تدميرها على يد قائده فاسبسيانوس وبناء المدينة الجديدة في ممر الوادي سنة ٧١م-٧٢م. (البيشاوي، سعيد، ص١٥)، زارها عدد من الرحالة الغربيين والمسلمين، وتعرف باسم دمشق الصغرى نظراً للتشابه الكبير بينها وبين دمشق في التخطيط والعمارة والأسواق (المقدسي، شمس الدين،ص١٧٤)، وهذا المسجد الذي سمي باسمه يعرف بأسماء متعددة، منها مسجد الشهيد، ومسجد الساطون، يقع وسط حارة الياسمينة وهي من أقدم حارات مدينة نابلس(البخيت ١٩٩٦، ص٣٤-٩٦)، وتبلغ مساحته الكلية تقريباً ٤١٧متر مربع (سجلات دائرة أوقاف نابلس، سجل الإحصاء للأملاك والعقارات الوقفية)، ووضع نواته الأولى الخليفة عمر بن الخطاب (٢٣-٣١هـ/٦٣٤-٦٤٤م)، بحسب بعض المصادر التاريخية فإن المسجد شيد في العصر العباسي الثاني وذلك لارتباط عائلة الشهيد الرملي (كلبونه،١٩٩٨، ص١٢١)، وكان إمامًا لهذا المسجد (الحموي،١٩٩٥،ص ٢٤٨).

أما فيما يتعلق بلقب الشهيد فهي بحسب المصادر التاريخية نتيجة لاستشهاده في سبيل فتواه السياسية، أما الإمام فلكونه كان يشغل إماما لمسجد الساطون في مدينة نابلس (الحموي، ياقوت، ج٥، ص٢٤٨؛ ابن عساكر، ج١، ص١٠؛ أبو شامة، ج٢، ص٢٠).

عاش غالبية حياته في مدينة نابلس حتى بلغ من العمر خمسة وسبعين عاماً، ثم أجبر على تركها إلى مدينة الرملة سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م؛ (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٦٩.)، والرملة هي مدينة في فلسطين العظيمة (الأصطخري؛ ١٩٨١، ص٥٧؛ ابن خرداذبة، ١٨٨٩، ص٨٠). وعندما سيطر القرامطة الشيعة على

مدينة نابلس وما حولها (الطبري،١٩٦٧، ص١٥٩)، وهي فرقة بدأت دعوتها السرية في بلاد فارس ومن ثم ظهرت بالكوفة سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م، وتنسب إلى حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، وانتهت دولة القرامطة على يد الأمير أرتق بك في مدينة هجر بالأحساء سنة ٤٧٠هـ/١٣٣٩م (ابن خلدون، ج٥، ص٣١)، ونتيجة لهذه السيطرة هاجر إلى الرملة وعمره خمسة وسبعون عاماً، وعاش جُل حياته في العصر العباسي الثاني(سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م، وينتهى في ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)، وخاصة فترة الدولة الطولونية التي تنسب إلى مؤسسها أحمد بن طولون الذي استقل بحكم مصر وبلاد الشام عن الدولة العباسية، واستمرت الدولة الطولونية (٢٩٢-٢٥٤هـ/٩٠٥-/٨٦٨م) (مأمون، ٢٠٠٩، ص٦)؛ والسلجوقية التي كانت تتبع المذهب السني وهي دولة نشأت منذ ٤٢٩هـ-١٠٣٧م/٤٢٩هـ/١١٥٧م) (ابن الأثير، ١٩٧٩،ص٢٤٩)، ولكن يستنتج من المصادر التاريخية أنه انتقل من الرملة إلى دمشق وكان عمره ثمانية وسبعين عاماً (ابن عساكر،١٩٩٧، ص٥١) وبهذا يكون قد مكث في مدينة الرملة ثلاث سنوات، ويعتقد أنه كان متخفياً نظراً لمكوثه هناك ثلاث سنوات دون القبض عليه، وفي أواخر السنة الثالثة التي قضاها في الرملة قبض عليه وأرسل إلى القاهرة وهناك سلخ وقتل على يد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وسنأتي على تفاصيل هذه الحوادث في سياق هذا البحث (ابن الجوزي،١٩٩٢،ص ١٤).

ثانياً: حياته العلمية:

كان إمامًا في الحديث والفقه (الذهبي، ٢٠٠٩، ج١٦، ص١٤٩) وأسوة ببقية الأئمة والعلماء فقد حدّث وأخذ عنه عدد كبير من علماء وفقهاء عصره أمثال: أبي جعفر محمد ابن أحمد بن شيبان الرملي، وسعيد ابن هاشم بن مرثد الطبراني، وعمر بن محمد بن سليمان العطار، وعثمان بن محمد بن علي بن جعفر الذهبي، ومحمد ابن الحسن بن قتيبة، وأحمد بن ريحان، وأبي الفضل العباس

بن الوليد القاضي، وأبي عبد الله جعفر بن أحمد ابن إدريس القزويني، وإسماعيل بن محمد بن محفوظ، وأبي سعيد بن الأعرابي، وأبي منصور محمد بن سعد (الحموي، ١٩٩٥، ص٢٤٨).

وقد تتلمذ له عدد من الطلبة ونقلوا عنه العلوم والمعارف منهم تمام بن محمد، وروى عنه هشام بن محمد الرازي وعبد الوهاب الميداني وأبو الحسن الدارقطني وأبو مسلم محمد ابن عبد الله بن محمد بن عمر الأصبهاني وأبو القاسم علي ابن جعفر الحلبي وبشرى بن عبد الله مولى فلفل، وعن أبي ذر الهروي (الحموي، ١٩٩٥، ص٢٤٨)، كما سمع منه بمدينة الرملة عبد الوهاب الميداني، وأبو الحسن الدارقطني، وأبو مسلم محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر الأصبهاني، وأبو القاسم علي بن عمر بن جعفر الحلبي، وبشرى بن عبد الله مولى فلفل (ابن عساكر،١٩٩٧، ص٥٠).

ثالثاً: بلاد الشام وفلسطين قبل ثورة الإمام أبي بكر النابلسي:

نتيجة لسيطرة الدولة الفاطمية الناشئة في المغرب العربي وامتداد نفوذها إلى بلاد الشام ومن ضمنها مدينة نابلس، فقد أصبح كما يصف بعض المؤرخين نصف مدينة نابلس شيعة (المقدسي،١٩٩١،ص١٧٩)، كما أن بعض المدن الفلسطينية تشيعت بأكملها مثل مدينة طبرية وهي مدينة تقع شمال فلسطين، بنيت عام اثنين وعشرين للميلاد على شاطئ بحرية طبرية؛ تقع على بعد ٢٠ كيلاً من الجنوب من مصب نهر الأردن، سميت على اسم الإمبراطور الروماني طيباريوس، فتحها شرحبيل بن حسنة عام ثلاثة عشر للهجرة وصارت عاصمة جند الأردن (شراب،٢٠٠٠، ص٤٩٨)، وكان أهلها متعصبين لمذهبهم حتى إنهم كانوا يطردون من يأتي لزيارة قبر ينسب للصحابي أبي هريرة ويرجم أطفالهم زائريه (خسرو، ١٩٨٣، ص٥٣). لم يتضح من خلال المصادر أسباب تشييع نصف مدينة نابلس؛ ولماذا لم تتشيع بأكملها أسوة بمدن أخرى مثل طبرية مثلاً، أو من

هي العائلات التي أصبحت تتبع المذهب الشيعي، ومن المرجح اختلاف في أداء الصلاة أو الأذان أو الدعاء على المنابر، وبالتالي لا نستطيع معرفة تفاصيل الحياة اليومية في المدينة بناءً على هذا الوضع الجديد فيها، ولكن نستنتج من فتوى النابلسي أنه حدث تغير مذهبي وطقوسي في ممارسة الشعائر الدينية في المدينة.

وأمام سيطرة العبيدين على بلاد الشام من جهة وسيطرة القرامطة على بعض نواحيها من جهة أخرى، ثار أبو بكر الرملي النابلسي على الدولة العبيدية، فلم تكن ثورته ثورة عسكرية كما هو حال عيسى بن السليل الشيباني وهو أحد الأمراء القواد العرب القلائل الذين برزوا في فترة سيطرة القواد الأتراك، وحاول أن يقيم دولة في الشام منطلقاً من فلسطين، أصبح والياً على فلسطين في أيام الخليفة المستعين (٢٤٨-٢٥١هـ/ ٨٦٢ – ٨٦٤م). (ابن عساكر، ج ٤٧،٣١١)، أو ثورة المبرقع اليماني التي قادها ضد الدولة العباسية فترة الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ (٨٣٣ – ٨٤٢ م)، التي كان سببها نزول أحد الجند بداره والاعتداء على زوجته أو أخته وانتهت ثورته بمقتله بعد معركة الرملة (ابن عساكر، ١٩٩٥، ص ١٥٦)، أو ثورة الطولونيين أو السلاجقة؛ ولكنها كانت ثورة فكرية دينية عن طريق إصدار فتوى توضح الحال والموقف من الدولة العبيدية وعقيدتها، وهنا يستنتج أن فتوى الإمام كانت ذات صدى عند عامة الناس الذين كانوا منقسمين بين مؤيد لمن كان ناقماً على العبيدين ومعارض لهم، وبالتالي فإن الفتوى خرجت من مكان إقامته في مدينة نابلس؛ ويعتقد أن سبب هروبه من نابلس أن نصف سكانها شيعة وبسببها هرب إلى الرملة ظنًّا منه بحماية أبي محمود الكتامي والي دمشق في تلك الفترة، ولكن عندما سيطر القرامطة على الرملة هرب خائفاً إلى دمشق وهناك قام الكتامي بإلقاء القبض عليه (ابن الأثير،١٩٩٥، ص٦٤٠).

السؤال: لماذا هرب الرملي إلى دمشق؟ قد يكون السبب ظناً منه حماية أبي بكر الكتامي، لما سمعه عنه، وربما لكثرة سكانها واختفائه بين الناس هناك.

ويتهم أبو بكر النابلسي العبيدين بثلاثة أمور: أما اتهام العبيدين بتبديل الملة بمعنى المذهب، حيث تم تغيير المذهب المالكي أو الحنفي إلى المذهب الإسماعيلي والاثني عشري، وهم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن عليًا هو الأحق بوراثة الخلافة، وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم، وسُمُّوا بالاثنى عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم، وغالبية ممارساتهم مخالفة لأهل السنة والجماعة؛ وقد تبنى العبيديون هذا المذهب (الشهرستاني، ١٩٦٨، ج١، ص١٦٩؛ مزروعة، ٢٠١٦، ص٢٢٧).

رابعاً: ثورة أبي بكر النابلسي ونهايته:

بعد شيوع المذهب الشيعي العبيدي في بلاد فلسطين ونابلس خاصة، وانتشار بعض الطقوس والممارسات المخالفة للمذاهب السنية، بالإضافة إلى سيطرة فرقة شيعية أخرى على نابلس بعد سنتين من خضوعها للعبيدين سنة (٣٦٠هـ/٩٧٠م) وهم القرامطة الذين جاءوا من الإحساء وسيطروا على بلاد الشام ومحاولتهم تطبيق الفكر والمذهب القرمطي على سكان نابلس، مما اضطر الإمام أبا بكر النابلسي إلى الفرار منها إلى الرملة، ولكن سيطرتهم على بلاد الشام لم تدم سوى ثلاث سنوات لغاية سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م (ابن الأثير،١٩٩٥، ص٦١٤).

نظراً لمكانة الإمام أبي بكر النابلسي الدينية كونه فقيها ومحدثاً في أحد مساجد نابلس؛ وما ترتب على تلك المكانة من الناحية الاجتماعية باعتباره أحد وجهاء نابلس، كان لا بد من معارضته وممانعته لهذه العقائد المخالفة للمذاهب السنية الصحيحة، وهذا الأمر جعله يتصدر المشهد الديني والسياسي ويصدر فتوى تتعلق بقتال العبيديين واعتبار بغضهم واجبا دينيا وشرعيا وكان من ضمن ذلك فتواه التي قال فيها:

"لو كان معي عشرة أسهم لرميت تسعة بالمغاربة، وواحدا بالروم"، السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل أفتى الفقيه بهذه الفتوى بسبب مخالفة الشيعة أهل السنة والجماعة، أم محاولة الشيعة تشيعه على المذهب الفاطمي؟

للإجابة على هذا السؤال، لا بد من قراءة الروايات التاريخية التي تتحدث عن الموضوع بشكل معمق، فقد ورد في تاريخ الطبري "أن والي دمشق الذي كان تابعاً للدولة الفاطمية في تلك الفترة التاريخية وهو أبو محمود الكتامي، قبض على أبي بكر النابلسي بمجرد وصوله لدمشق سنة (٣٦٣هـ/٩٧٣م)، حيث قام بسجنه لربما لعدة أيام ومن ثم وضعه في قفص خشبي ومن ثم قام بإرساله للقاهرة، بناء على طلب شخصي من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، الذي قام باستنطاقه بنفسه قائلاً: " بلغني عنك أنك قلت لو كان مع الرجل المسلم عشرة أسهم وجب أن يرمي الروم سهماً واحداً وفينا تسعة"، فأجاب أبو بكر النابلسي: "ما قلت هكذا، فظن المعز أنه خاف وتراجع عن فتواه، فقال له: " كيف قلت"؟ قال ابن النابلسي قلت: "إذا كان معه عشرة أسهم وجب ان يرميكم بتسعة ويرمي فيكم العاشر أيضاً"، فأكمل أبو بكر قوله: "فإنكم غيرتم الملة؛ وقتلتم الصالحين، ويقصد الأئمة المعارضين للمذهب الشيعي، وادعيت نور الألوهية بمعنى أن حكمكم مستمد من نور الله لكم".

كما يذكر صاحب كتاب المدارك: "فلما وصل أبو بكر النابلسي إلى دمشق، قبض عليه بعض عظمائها، وحمل إلى مصر مع ابنه، في جملة الأسرى الذين قبض عليهم في الهزيمة. وكانوا نحو ثلاثمئة فشهروا على الجمال، والتشهير ركوبهم على ظهور الجمال دون تغطية في هودج أو غيره، وأمر بضرب أعناقهم على النيل، ورمي جثثهم به، إلا النابلسي، فإنه أمر أن يسلخ ... وشق السلاخون عرقوبيه، ونفخ كما تنفخ الشاة. ثم سلخ، وهو في كل هذا يقرأ القرآن بصوت قوي، وترتيل، إلى أن انتهى السلخ إلى كتفيه. فتغاشى، ثم مات، فصلب جسده ناحية.

ثم جلده بعد أن حُشي ناحية. رحمة الله تعالى عليه (القاضي،١٩٨٣، ص٣٥٨).

لقد أوردت المصادر التاريخية أخباراً مختلفة عن نص الفتوى، فبعضها ذكر أنه قال: "إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب ان يرميكم بتسعة ويرمي العاشر في الروم (ابن عساكر، ١٩٩٧، ص، ٥٢). كما ورد نص الفتوى ذاتها في عدد من المراجع ومنها: (الذهبي، ١٩٩٣، ص١٤٩). إن الاختلاف في نص الروايتين أو الفتوى، أن نص الفتوى الثانية هي الأدق وهي التي صدرت من قبل الشهيد أبي بكر النابلسي في نابلس، وبسبب ما تعرض له من معاملة سيئة من قبل والي دمشق بوضعه في قفص خشبي كالحيوانات واستجوابه من قبل الخليفة المعز لدين الله بشكل شخصي، ونتيجة لهذا قام بتعديل فتواه أمام الملك وقال: العاشر فيكم"، بمعنى أنه يجب ضرب العشرة أسهم في الشيعة بعد أن قال تسعة وواحد في الروم.

إن عقوبة السلخ للأشخاص وهم أحياء عقوبة قاسية وشديدة وهمجية يقصد بها إيقاع أقصى قدر من الألم بالجنس البشري عبر التاريخ، حتى الحيوانات لا تعاقب بالسلخ وهي أحياء، وتنم عن حقد وكره لا مثيل له على الإطلاق، والسلخ بمعنى قشط الجلد عن الوجه أو اليد أو فروة الرأس، وقد مثل بعض السلاطين وقاموا بعملية سلخ لعدد كبير من المعارضين (ابن الأثير، ١٩٩٥، ص٦١٤).

كان يطاف بمن سيتم سلخة في الأسواق في صناديق خشبية، تعبيراً عن كونهم حيوانات، وأحياناً كانت توضع القرود معهم، ولكن أبو بكر النابلسي لم يوضع مع القردة أسوة ببعض المسلوخين من قبل الخلفاء، ولكنه وضع في قفص خشبي تشبيها له بالحيوانات المفترسة، وسنورد نماذج مختلفة على عمليات السلخ لأناس من طبقات مختلفة رجالاً ونساءً تم سلخهم من قبل سلاطين وخلفاء ووزراء ورجال دولة في ظل الدولة الإسلامية.

ومن الأمثلة على عقوبة سلخ بعض الثائرين أو الخارجين عن الدولة العبيدية: في سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، تبرأ تبر الإخشيدي وهو أبو شجاع من أمراء الدولة الإخشيدية ولي عدة ولايات منها ولاية دمشق (الزركلي، ١٩٩٨، ص١٥٢)، ودعي تبر إلى الخليفة المطيع لله (٣٣٤هـ-٣٦٣هـ/ ٩٤٦ – ٩٧٤) (الذهبي، ١٩٨٤، ج١٥، ص١١٤) وكتب اسمه على البنود وهي الأعلام الخاصة بالدولة العبيدية (النووي،٢٠٠٠، ص١٣٤) وذهب معه جوهر الصقلي قائد الجيش العبيدي فخرج لقتاله، وأثناء الثورة نهبت بعض القرى، فأمر القائد جوهر بنهب دورة مصر، وتم القبض على صهره، وكانت ردة فعل تبر أن أغار على بعض القرى ونهبها، فتمت ملاحقته من قبل عساكر جوهر الصقلي فركب البحر يريد الشام ولكن القائد جوهر قبض عليه في مدينة صور الساحلية وهي إحدى مدن الساحل الشامي، ومنها نقل إلى مصر وبقي فيها أربعة عشر يوماً يهان ويضرب من أجل الأموال وثورته، في آخر ليلة جرح نفسه ومات، وسلخ جلده وحشي تبناً وعلق، ربما قصة انتحاره غير صحيحة وربما قتله رجال جوهر الصقلي وسلخوا جلده وحشوه تبناً(ابن خلكان، 1972، ص١٣٤).

عندما سمع المعز لدين الله العبيدي ما ردده الشهيد أبو بكر، وأنه لم يتراجع عما قاله أمر بتعذيبه وجلده وسلخه، وكان ذلك في رمضان سنة (٣٦٣هـ/٩٤٦م) (ابن عساكر، ١٩٧٢، ص٥٢)، ومع ذلك نتيجة للتعذيب والضرب لم يتراجع الشهيد عن فتواه، فأثناء تعذيبه زاره من كانوا معه ضمن من قبض عليهم في الشام وتم نقلهم إلى مصر، فعلى ما يبدو أن بعضهم بايع أو دخل في طاعة المعز فكان حراً طليقا، فقال للشهيد النابلسي: "وقيل: قال شريف ممن يعانده لما قدم مصر: الحمد لله على سلامتك، قال: الحمد لله على سلامة ديني، وسلامة دنياك. فرد عليه الذي زاره بقوله: "لا يوصف ما قلب هؤلاء العبيدية الدين ظهرا لبطن، واستولوا على المغرب، ثم على مصر والشام، وسبوا الصحابة

(الذهبي، ١٩٨٢، ١٤٦).

في نهاية اليوم الثالث وهو الثالث من رمضان سنة (٣٦٣هـ/٩٤٦م) من التعذيب وصل المعز لدين الله إلى قناعة أن أبا بكر لن يتراجع عما أفتى به، فصدر الأمر النهائي بإنزال أقصى عقوبة في شرع الملوك والسلاطين والخلفاء، فعلى ما يبدو أن ما من مسلم قبِل أن يقوم بسلخ أبي بكر النابلسي وهي هو، فجيء بيهودي فبدأ بسلخ رأسه من الأعلى حتى وصل أسفل وجهه، فلم يتراجع، وكان يرد: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ (سورة الإسراء)، كناية عن أن ما يحدث له من عذاب وسلخ إنما هذا مقدر له من الله، و كثيراً ما أودت الفتاوى بأصحابها، ومحنة أبي بكر النابلسي نموذج تاريخي يوضح كيف تعارضت السياسية مع الدين في التاريخ الإسلامي.

لم يكتفِ المعز لدين الله بهذا العمل وإنما أمر بالتمثيل بجثته حيث تم إنهاء عملية السلخ، وتم حشو جلده بالتين، وعلق لمدة ثلاثة أيام (ابن الجوزي، ١٩٩٢). لذلك أطلق عليه وعلى اسم عائلته اسم عائلة الشهيد، ولا زالت تحمل هذا الاسم في مدينة نابلس حتى اليوم (الذهبي، ١٩٩٦، ص١٥٠).

خامساً: مكانة الإمام أبي بكر النابلسي وآثاره الباقية:

وصفه الذهبي بأنه الإمام القدوة الشهيد إمام الحديث والفقه (الذهبي، ١٩٨٢، ج١٦، ١٤٨)؛ وذكره آخر بأنه وكان عابداً صالحاً زاهداً قوالاً بالحق (ابن العماد، ١٩٨٦، ج٣، س٤٦)، كما وصف بأنه العابد الزاهد الورع الناسك التقي (ابن كثير، ١٩٩٠، ج١١، ي٣٣٢)؛ وتضيف بعض المصادر التي ذكرت النابلسي بأنه كان مالكياً من خلال رواية القاضي عياض (المالكي، ١٩٨٣، ج٢، ص١٩؛ ابن الأثير، ١٩٩٥، ج٧، ٣٤٤).

جامع الساطون (الشهيد):

يعد جامع الساطون في نابلس من أبرز وأهم المعالم التاريخية والدينية البارزة في المدينة؛ ويطلق عليه جامع الشهيد، أو جامع الساطون، يقع وسط حارة الياسمينة وهي من أقدم حارات مدينة نابلس (البخيت ١٩٩٦، ص٣٤-٩٦)، وتبلغ مساحته الكلية تقريباً ٤١٧م مربعا (سجلات دائرة أوقاف نابلس، سجل الإحصاء للأملاك والعقارات الوقفية)، يعود بناء الجامع إلى الفترة العمرية بحسب العبارة التي وردت في النقش الكتابي" جدد هذا المسجد العمري"؛ لا يرد في المصادر التاريخية أن المسجد شُيد في فترة الخليفة عمر بن الخطاب، وعبارة جدد يعني ان البناء كان قائماً قبل العصر العباسي الثاني، وهنا يتضح أن المسجد جدد في العصر العباسي الثاني وذلك لارتباط عائلة الشهيد الرملي باسم المسجد فإنه على ما يبدو أن آل الشهيد هم من قاموا بتجديد المسجد.

الجامع في كتابات الرحالة والجغرافيين:

زاره الرحالة السمعاني فترة الحروب الصليبية سنة ٥٦٣ هـ/١١٦٧م حيث قال: " وبها الجامع ومسجد آخر للمسلمين ويقصد بالمسجد الآخر الساطون (السمعاني، ١٩٦٢، ص١٣)؛ أما النابلسي فقد زار نابلس سنة ١١٠١هـ/ ١٦٧٥م وذكر المسجد وقال: "وذهبنا إلى مسجد الساطور وتبركنا فيه بآثار الصالحين" (النابلسي،١٩٩١، ص٣٢٩)، ولا نعلم ماذا يقصد بآثار الصالحين فيه؛ فهل يقصد الشيخ الشهيد أم به آثار أو مدافن أو منبر محدد للشهيد أو غيره؛ والملاحظ أن النابلسي ذكره باسم الساطور وليس الساطون، حيث لا يوجد في مدينة نابلس جامع باسم الساطور، وربما ورد اللفظ خطأ من الناحية الإملائية لا أكثر.

كما ورد ذكر المسجد في المسح الأثري والمعماري الذي أجراه كل من (Conder And Kicthener 1897,203). والمعروف باسم مسح غربي فلسطين

Survey of Westren Palestine فقد ورد من خلال هذا المسح باسم جامع الياسمينة لكونه يقع في حارة الياسمينة.

أما سبب تسميته بجامع الشهيد فهي ترجع نسبة إلى الشهيد أبي بكر الرملي، أو إلى أجداده من قبله الذين كان لهم شأن في مدينة نابلس كما تذكر بعض المصادر التاريخية "... فكان يقال له الشهيد، وإليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس إلى اليوم، ولم تزل فيهم بقايا خير" (الذهبي، ١٩٩٦، ص١٤٦)، أما التسمية الثانية فهي الساطون فهي تعني الأسطوانة أو السارية وتكون ببناء وهي بخلاف العمود فيكون من حجر واحد (الزبيدي،٢٠١٥،ص٢٣٤)، كما يعرف المسجد باسم مسجد الياسمينة عند سكان حارة الياسمينة في البلدة القديمة في مدينة نابلس(كلبونه، ١٩٩٨، ص٦٥). أقدم الإشارات التي وردت عند الرحالة المسلمين ما ذكره السمعاني "وبها الجامع ومسجد آخر للمسلمين"، هذا المؤرخ زار نابلس في العصر الصليبي، ويقصد بالجامع هو المسجد الكبير الذي يقع وسط مدينة نابلس، أما مسجد آخر للمسلمين فهو بحسب النقوش الكتابية يأتي في المرتبة الثانية بعد الجامع الكبير، وزيارة السمعاني كانت في سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م (السمعاني، ١٩٦٢، ص١٣).

تاريخ بناء المسجد:

لم تسعفنا المصادر التاريخية حول تاريخ بناء المسجد؛ ولكن يتضح من النقوش الكتابية أن المسجد يعود للعصر الإسلامي الأول وذلك من خلال عبارة "جدد هذا المسجد العمري"، وهي فترة الخليفة عمر بن الخطاب ٢٣-٣١هـ/٦٣٤-٦٤٤م ؛ فإذا كانت عبارة العمري صحيحة فإنه شيد مع بداية الفتح الإسلامي لفلسطين سنة٢٥هـ/٦٣٦م (البلاذري، ١٩٨٣،ص١٤٤)، كما ورد في نقش آخر أن محمد بن عماد الدين من عائلة الشهيد قام على ترميم المسجد؛ وتعود عائلة الشهيد في أصولها التاريخية إلى العصر العباسي الثاني (ابن

الجوزي،١٩٣٩،ج٢، ص٨٢)، المسجد الحالي يعود تاريخه إلى فترات من العصر العباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي، وذلك من خلال النقوش التاريخية التي لا زالت قائمة في المسجد والتي سنأتي على ذكرها وتحليلها في هذا البحث.

الوصف المعماري للمسجد:

تبلغ المساحة الكلية لأرض مسجد الساطون ٤١٧م مربعا، له مدخلان من الجدار الغربي للمسجد، أما المدخل الغربي الجنوبي فيبلغ طوله ٢,٧٥م وعرضه ١,٨٠ يعلوه عقد حجري مدبب، أما المدخل الغربي الشمالي فهو بناء مستطيل طوله ٢,٥٤ وعرضه١,٧٥، يعلو المدخل ساكف حجري واحد ويغطيها قبو نصف برميلي، أما بيت الصلاة فهو بناء مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب بطول ٢١,٣٦م، ومن الشمال إلى الجنوب ٨,٣م، وتتوسط المسجد أربع دعامات حجرية مربعة الشكل تقسمه إلى رواقين اثنين شمالي وجنوبي، ويوجد في جداره الجنوبي ثلاثة محاريب وهي عبارة عن حنايا حجرية متوسطة العمق، يبلغ ارتفاع المحراب الجنوبي الشرقي ١,١٠ وعرضه ١,٢ بعمق ٥٠ سم، أما المحراب الأوسط الرئيس فيرتفع بطول ٢,٨٥م وعرض ١,٣٢م وعمقه ٦٥سم، ويحف بكل من جانبيه الشرقي والغربي عمود حجري يبلغ طوله ١,٨٧م، ويعلوه تاج عمود صغير الحجم مربع الشكل تبلغ أبعاده ٣٢سم، وهو مزخرف بزخارف نباتية بسيطة قوامها أوراق نباتية محورة عن أوراق العنب، في حين أن المحراب الثالث وهو المحراب الجنوبي الغربي يرتفع بطول ٢,٢٢م وعرض ١,٢م وعمق ٥٠ سم.

يقوم ما بين المحراب الجنوبي والمحراب الأوسط منبر حجري عبارة عن فتحة مدخل صغيرة مستطيلة الشكل يبلغ طولها ١,٧٦ وعرضها ٩٤م ويعلوها لوح كتابي حجري وتؤدي إلى سبع درجات حجرية تؤدي بدورها إلى دكة جلوس الإمام أو الخطيب.

وتتوزع في أعلى جدار القبلة خمسة شبابيك معقودة بعقود دائرية يبلغ طول

الواحد منها ٢,٥م وعرضها ٩٦سم وعمقها ٨٨سم وارتفاعها عن بيت الصلاة ٢,٩٠م، أما الجدار الشمالي فتتوزع فيه أربعة مداخل معقودة بعقود شبه مدببة، كما توجد ساحة شمالية مكشوفة للمسجد وإيوانان، بالإضافة إلى المئذنة التي تقع في الجهة الغربية الشمالية مربعة الشكل.

النقوش الكتابية جامع الساطون(الشهيد):

النقش الأول:

يقع في الجدار الجنوبي في الساحة الشمالية، ويتكون من لوح من الرخام يبلغ طوله ٧٢سم وعرضه ٥٠سم، ويتكون من خمسة أسطر:

١- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ

٢- وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ جدد هذا المسجد المبارك

٣- العمري وعمره العبد الفقير إلى الله تعالى جمال الدين نور الأمراء بن شمس الدين الطاهر بن الشهيد رحمه الله

٤- تعالى ورحم والده وأجزاه وأثابه ورحم من دعا العمر بالمغفرة والرحمة لوالديه ولجميع المسلمين

٥- وذلك مما عمر في شهر رجب الفرد الأحد سنة ثمان وستين وخمسمئة.

نقش الجدار الجنوبي في الساحة الشمالية لجامع الساطون

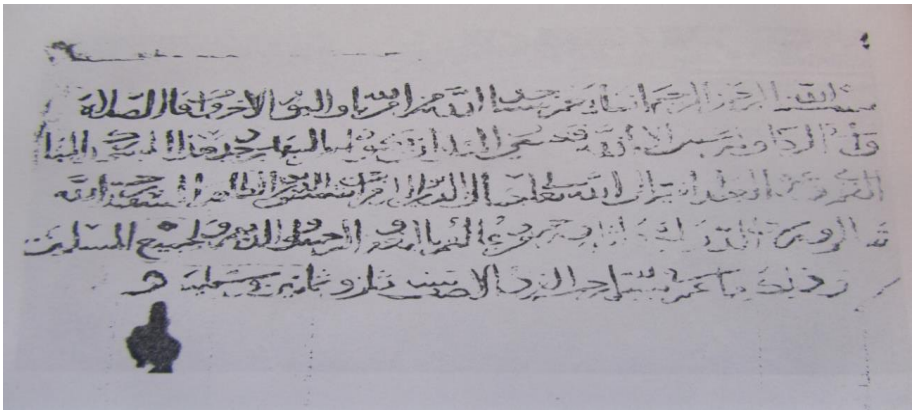

نقش الجدار الجنوبي في الساحة الشمالية لجامع الساطون (تصوير الباحث)

تحليل النص:

هذا النقش ينشر لأول مرة؛ وبالتالي فهو وثيقة مادية تثري هذا البحث بمعلومات أصيلة حول تأريخ مسجد الساطون للشهيد أبي بكر الرملي النابلسي، ويبدأ النص بالبسملة أسوة ببقية نقوش المساجد، ومن ثم بالآية القرآنية ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ.... ﴾ (الآية ١٨ من سورة التوبة)، ونهاية السطر الثاني تم تحديد وظيفة النقش وهي "تجديد مسجد الساطون"، وأما بداية السطر الثالث فترد كلمة العمري نسبة إلى عمر بن الخطاب وهي الفترة التي بني فيها هذا المسجد، وقد يكون أول مسجد عمري بني بعد الفتح (عرفات، ٢٠١٢، ص١٩٠)، وفي السطر الثالث إخبار عن من قام بعملية الإعمار وهو جمال الدين نور الأمراء، فكلمة نور الأمراء هي تكريم، وهي مضافة للاسم الحقيقي وهي لقب تشريفي لجمال الدين، وهو ابن شمس الطاهر بن الشهيد، فهنا يتبين أن من قام بتجديد مسجد الشهيد أبي بكر الرملي حفيده جمال الدين، وفي السطر الرابع الترحم على والد المعمر ابن أبي بكر الرملي، فهذا معهود في كافة النقوش الإسلامية، وفي السطر الأخير ذُيّل النقش بتاريخ تجديد وتعمير مسجد الشهيد الرملي في سنة ٦٦٨هـ/١٢٨٨م.

النقش الثاني: نقش المدخل الشمالي:

يوجد النقش على ساكف العتبة العليا للمدخل الشمالي للمسجد، وهو يتكون من لوح رخامي يبلغ طوله ٨٠سم وعرضه ٥٠ سم، ويتكون من أربعة أسطر نقشت بالخط النسخي، تتكون من ستة أسطر فصل فيما بينها بخراطيش حجرية، كتبت بالخط النسخي المملوكي بشكل متشابك وكثيف؛ حيث إن تداخل الأحرف وكلمات النص تمنع من معرفة كافة كلمات النص، بالإضافة إلى أن الأعمال التي تمت أكثر من مرة على اللوحة جعلت من الصعوبة قراءتها بشكل جيد.

ومن الجدير ذكره أن النص ليس في مكانه الأصلي فقد وُضع أعلى حوض السبيل وهذا يدل على أنه نقل من مكانه من مئذنة الجامع أثناء عملية الترميم.

نص النقش:

١- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ

٢- وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ أنشأ هذه المئذنة المباركة العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ابن المرحوم عماد الدين إبراهيم

٣- الشهيد عفا الله عنه وذلك في شهر جمادى الأول سنة تسع وخمسين وسبعمئة.

تحليل نص النقش:

بدأ النص بالبسملة كما هو متعارف عليه في النقوش التأسيسية في العمارة الإسلامية، وتلا نص البسملة الآية ١٨ من سورة التوبة.

أما السطر الثاني فيشير إلى تأسيس مئذنة المسجد في فترة متأخرة وهو أحد أحفاد الشهيد وهو محمد بن عماد الدين وقد ذكره العسقلاني بأنه "ولد سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٩م، وكان فقيها وأديباً وكان أوحد عصره في الشعر والنظم، وقد أقام في دمشق وصار فيها لديوان الإنشاء وولي مشيخة الشيوخ، ونظم السيرة النبوية في ثلاثة مجلدات وفي خمسة وعشرين ألف بيت من الشعر سماه "الفتح القريب في سيرة الحبيب"، وقتل بسيف السلطان في القاهرة سنة ٧٩٣هـ١٣٩٤م. (العسقلاني، ١٩٩٣، ص٣٣٨).

وفي السطر الثالث دعاء لمن قام ببناء المئذنة، ويتبين أن المئذنة قد بنيت بحسب النقش في العصر المملوكي، وهذا يدل على أن آل الشهيد في مدينة نابلس ظلوا قائمين على المسجد وعمارته، وهذا يتضح من خلال النقوش التي تجسد أخبار التعميرات مقرونة بأسماء آل الشهيد.

صورة النقش الثاني غير موجود بسبب أعمال تعمير حدثت على الواجهة التي ثبتت بها اللوحة الحجرية، وقد أخذ النص من (مقالة باللغة الفرنسية كانت قد نشرت عام ١٩٢٦ في مجلة المعهد الفرنسي بمدينة القدس بعنوان نقوش من مدينة نابلس والخليل، للباحث الفرنسي جوسون (JaussenK 1926,p202)

النقش الثالث: نقش الإيوان الغربي:

ويقع أعلى عقد الإيوان الغربي المطل على الساحة الشمالية المكشوفة، يبلغ طوله ٣٤ سم وعرضه ٥٦سم، ويتكون من خمسة أسطر:

نص النقش:

١- بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا

٢- يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ

٣- ٱلۡأٓخِرِ ﴾ أنشأ هذا المكان المبارك الفقير

٤- إلى الله تعالى الحاج صدقة بن الحصري وذلك

٥- في شهر رجب سنة ثمان وتسعين وسبعمئة

تحليل النص:

يبدأ النص بالبسملة أسوة ببقية النقوش في مسجد الساطون، وفي نهاية السطر الأول يبدأ بكلمة (إنما) وهي الآية ١٨ من سورة التوبة، وهنا فغالبية المساجد في المدن الإسلامية نقشت عليها هذه الآية بعد البسملة، ويأتي السطر الثاني على تحديد مضمون النقش وهو إنشاء مكان؛ ولكن إذا كان النقش في مكانة الأصلي فيعني أن المكان هو الإيوان الغربي لمسجد الساطون وهو بمثابة توسعة للمسجد في فترة لاحقة؛ وإن كان النقش منقولا من مكان آخر فهذا يعني أنه يقصد بالإنشاء تعمير آخر ربما رواق ربما ساحة خارجية أو غيره.

أما في السطر الثالث فيتناول موضوع من قام بعملية الإنشاء وهو الحاج صدقة بن الحصري حيث لم نجد له ترجمة تاريخية، وربما كان من تجار نابلس أو الأشخاص الميسورين في مدينة نابلس؛ وفي السطر الأخير تم تأريخ السنة التي تم فيها الإنشاء وهي سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م. (الدباغ، ١٩٨٨، ص١٣٩)

نقش المنبر:

يعلو النقش الكتابي منبر المسجد، ولكن الغريب في الأمر أنه يشبه شواهد القبور وليس بشكل مستطيل أو مربع وإنما بشكل مخروطي أو شبه دائري من الأعلى، ويبلغ طوله ٣٤سم، وعرضه ٥٦م ويتكون من ثلاثة أسطر.

نص النقش:

١– الله

٢– لا إله إلا الله محمد رسول الله

٣– بسم الله الرحمن الرحيم

٤– ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ

٥– ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ سنة ١٢٦٩.

بدأ النص بكلمة الله وفي السطر الثاني عبارة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن ثم البسملة وانتهى بالآية ١٨ من سورة التوبة، وفي آخر النقش تم تأريخ النص بالأرقام وليس بالأحرف، وهذه الطريقة استخدمت في أواخر العصر المملوكي تقريباً، وقبل ذلك أرخت جميع النقوش بالأحرف وليست بالأرقام (كلبونه، ١٩٩٨، ص١٢).

نقش المنبر (تصوير الباحث)

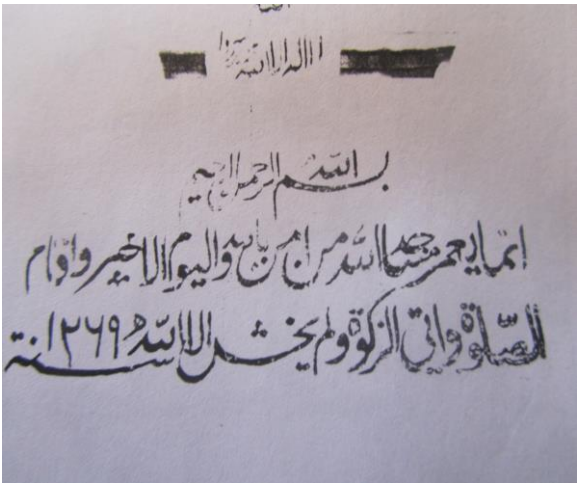

سبيل المسجد:

تتميز مساجد مدينة نابلس بأنها تحتوي على أسبلة مياه جارية في جدرانها الخارجية، وهذه عادة متبعة في كافة المدن الإسلامية مثل القاهرة وفاس والقيروان غيرها، لذلك وجد في مسجد الساطون سبيل يعرف بسبيل الساطون أو سبيل الران، والران كلمة لاتينية تعني حوض الماء، حيث يقع هذا السبيل على مدخل المسجد، ويلاحظ أنه بني منذ تأسيس المسجد وذلك لكونه جزءًا من البناء الأساس وليس ملحقاً للبناء (قعقور، ٢٠١٠، ص٨٠).

تاريخ السبيل:

لا يوجد على السبيل نفسه أي نقش تذكاري، ولكن يقال إن السبيل بني منذ تاريخ بناء مسجد الساطون نفسه، والكتابة التي بداخل المسجد تشير إلى أن المسجد بنى عام ٦٨٨هـ/١٢٦٩م، ومكان الوضوء والغرفة الحالية زمن المرحوم الحاج صدقة الحضري في شهر رجب سنة ٧٩٨هـ/١٣٩٥م رحمه الله. لقد تبين بعد الاطلاع على التاريخ الموجود في ساحة مسجد الساطون أن المسجد العمري هذا جدده العبد الفقير جمال الدين نور الله بن شمس الدين الطاهر الشهيد عام ٦٨٨هـ/١٢٦٩م رحمه الله، وقد شيد محل الوضوء والغرفة الحالية زمن المرحوم الحاج صدقة الحضري في شهر رجب سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م رحمه الله، أما بخصوص المئذنة القديمة قبل الحالية فكان بناؤها زمن محمد بن عماد الدين الشهيد سنة ٧٥٩ هـ/١٣٥٩م في ربيع الأول". وهناك رواية أخرى، أنه كان عند المسجد زاوية صوفية وتسمى زاوية الشيخ أحمد الساطون، وقد بنيت العين في العهد التركي، عام ١٠٩٩هـ/١٦٩١م (قعقور،٢٠١٠، ص٨٠).

الوصف المعماري:

يتكون السبيل من عقد حجري بسيط يدخل في واجهة المسجد حوالي ٨٠سم وأسفل القبو حوضن وفي واجهة القبو صنبور الماء للشرب. ويعلو قوس

السبيل شباك مغلق بزخرفة هندسية جميلة تابع للمسجد، وبجانب قوس السبيل قوس آخر أصغر منه قليلا، وله حوض آخر يعتقد أنه كانت تجمع فيه مياه الوضوء، وكانت تستخدم لسقي الدواب. ولكن الحوض الآن مليء بالتراب، حيث زرعت فيه الورود ولكنها جفت بسبب عدم وصول الشمس إليها. (قعقور، ٢٠١٠، ص٨٠).

الخاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة اتضحت حالة الانقسام بين سكان مدينة نابلس مذهبياً، وهذا نتيجةً لاتباع عامة الناس مذهب الدولة التي تحكم بغض النظر عن اقتناعهم بهذا المذهب أو لا، وهذا يفسر حالة انقسام المذاهب في الدول المختلفة، فالفئة التي تناصر أو تتبع مذهب الدولة هي فئة تابعة مستفيدة من الدولة من الناحية الوظيفية أو المالية أو الاقتصادية، أما الفئة الثانية التي تحاول دائما الثبات على مذهبها فغالبيتها من رجال الدين أو أتباع المذاهب التي تعارض مذهب الدولة أو فكرها، وهذا ما حدث مع أبي بكر النابلسي الرملي، فالنتيجة دائماً لصالح الدولة ومذهبها لا لصالح رجال الدين أو القضاة أو غيرهم.

غالبية الثورات التي حدثت ضد نظام الحكم الإسلامي – بغض النظر عن مذهبه – كانت ضد الظلم والضرائب والتعسف والاستبداد، منها ما كان عسكرياً بالقوة العسكرية، ومنها ما كان بالإفتاء والتحريض على الدولة كثورة أبي بكر النابلسي.

يستنتج أن شدة العقوبة التي أنزلت بحق أبي بكر النابلسي من قبل الخليفة المعز لدين الله العبيدي إنما هي لإدراك المعز لدين الله أهمية وثقل العلماء في تأليب مواقف العامة وقيادة أفكارهم، ومن باب خشية العبيدي على مكانته السياسية وإدراكه لمنزلة الإمام أبي بكر النابلسي أصدرت بحقه تلك العقوبة لزجر كل من يفكر أن يظهر على الدولة العبيدية ويحاول عصيانها أو مجابهتها. وإنما صدرت تلك العقوبة لترهيب وزجر كل من يفكر بالثورة على الدولة العبيدية من سكان بلاد الشام وأن عقوبته ستكون أقصى عقوبة والتي تتمثل بالسلخ قبل القتل.

أبرزت النقوش التاريخية التي وجدت في جامع الساطون مكانة أسرة آل الشهيد والإرث الاجتماعي والتاريخي الذي حضوا به خلال أجيال متعاقبة تمثلت في عمارة وتجديد جامع الساطون.

Sources and references manuscripts:

1. Sijillāt Dā'irat Awqāf Nābulus, sijill al-Iḥṣā' lil-amlāk al-waqfīyah.
2. Sijillāt Maḥkamat Nābulus al-shar'īyah al-'Uthmānīyah sijill raqm 21 (1294h / 1877m

List of old sources and references:

1. Ibn al-Athīr, 'Alī ibn Muḥammad (1995m) (t 630h / 1232m) : al-kāmil fī al-tārīkh, taḥqīq : 'Abd Allāh al-Qāḍī, ṭ2. Bayrūt, Lubnān, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
2. Ibn al-'Imād al-Ḥanbalī, Abū al-Falāḥ 'Abd al-Ḥayy ibn 'Alī ibn Muḥammad al-Ḥanbalī (1980), (t1089h / 1679m), Shadharāt al-dhahab fī Akhbār min dhahab, Dār al-Āfāq, Bayrūt.
3. Ibn al-Jawzī, Shams al-Dīn Abī al-Muẓaffar Yūsuf ibn 'Abd Allāh al-Baghdādī Ibn al-Jawzī (1992m) : al-muntaẓim fī Tārīkh al-Umam wa-al-mulūk, taḥqīq : Muḥammad 'Abd al-Qādir 'Aṭā wmṣṭfy 'Abd al-Qādir 'Aṭā, Bayrūt : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.
4. Ibn Ḥajar al-'Asqalānī ; Aḥmad ibn 'Alī ibn Muḥammad al-Kinānī al-'Asqalānī, Abū al-Faḍl, Shihāb al-Dīn, Ibn Ḥajar (1993M),. al-Durar alkāmnh fī a'bān al-mi'ah al-thāminah, Dār al-Ma'ārif al-'Uthmānīyah Ḥaydar abād.
5. Ibn 'Asākir, 'Alī ibn al-Ḥasan ibn Hibat Allāh (1997m) : Tārīkh Madīnat Dimashq, Ṭ1, j51, Dimashq, Dār al-Fikr lil-Nashr wa-al-Ṭibā'ah wa-al-Tawzī'.
6. al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, (1967m), (t 310h / 922m) : Tārīkh al-Umam wa-al-mulūk,, ṭ2, j4. Bayrūt-Lubnān, Bayrūt, Dār al-Turāth.
7. Khusrū, Nāṣir, (1993), (t481h / 1088m) : Sifr nāmah, al-muḥaqqiq : Yaḥyá al-Khashshāb, ṭ3, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-jadīd. al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Uthmān

8. Ibn qāymāz, (1993), (t 748h / 1347m) : Tārīkh al-Islām wa-wafayāt al-mashāhīr wa-al-a‘lām, taḥqīq : ‘Umar ‘Abd al-Salām Tadmurī, ṭ2, Bayrūt, Dār al-Kitāb al-‘Arabī.

9. al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān ibn Qāymāz al-Dhahabī, Shams al-Dīn, Abū ‘Abd Allāh (1996m) : al-‘ibar fī khabar min ‘abra, taḥqīq Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid, al-Kuwayt.

10. al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn ‘Uthmān ibn Qāymāz al-Dhahabī, Shams al-Dīn, Abū ‘Abd Allāh (1996m) : al-‘ibar fī khabar min ‘abra, taḥqīq Ṣalāḥ al-Dīn al-Munajjid, al-Kuwayt.

11. Taqī al-Dīn ibn Qudāmah al-Maqdisī, (1997), (t 715h / 1314m). al-Mughnī, taḥqīq ‘Abd Allāh ibn ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī ; ‘bdālftāḥ Muḥammad al-Ḥulw, (D. t), al-juz’, 3, Kitāb al-ṣalāh, al-Riyāḍ, Dār ‘Ālam al-Kutub lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.

12. al-Ṣinhājī, Muḥammad ibn ‘Alī ibn Ḥammād ibn ‘Īsá al-Ṣinhājī al-Qal‘ī, (D. t) (D (t 628h / 1231m): Akhbār mulūk Banī ‘Ubayd wsyrthm, taḥqīq: al-Tuhāmī Naqrah, ‘Abd al-Ḥalīm ‘Uways, al-Qāhirah, Dār al-Ṣaḥwah.

13. al-Andalusī, Ibn Diḥyah (1998) : Abū al-khiṭāb ‘Umar ibn Ḥasan, (t633h / 1236m), adā’ mā wjb min bayān waḍ‘ alwḍā‘yn fī Rajab, taḥqīq : Muḥammad Zuhayr al-Shāwīsh, takhrīj : Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, al-Maktab al-Islāmī.

14. al-Sakhāwī, Muḥammad ibn ‘Abd al-Raḥmān (1995m) : (t902h / 1497m), Wajīz al-kalām fī al-Dhayl ‘alá duwal al-Islām, taḥqīq : Bashshār Ma‘rūf wa-ākharūn, Mu’assasat al-Risālah.

15. Abī Shāmah, Shihāb al-Dīn Abī Muḥammad ‘Abd al-Raḥmān ibn Ismā‘īl al-ma‘rūf bi-Abī Shāmah al-Maqdisī al-

16. Dimashqī (1997m) : (t665h / 1266m), al-rawḍatayn fī akhbār al-dawlatayn al-Nūrīyah wa-al-Ṣalāḥīyah, taḥqīq Ibrāhīm al-Zaybaq, Ṭ1, Bayrūt, Mu’assasat al-Risālah.

17. ʻIyāḍ, al-Qāḍī (1983m) : tartīb al-madārik wa-taqrīb al-masālik li-maʻrifat Aʻlām madhhab Mālik, j1, ṭ2, Wizārat al-Awqāf wa-al-Shuʾūn al-Islāmīyah al-Maghrib.

18. alzrklany, khunyr aldunyn. (1998) : al-Aʻlām, ṭ5, bunyrwt, Dār al-ʻIlm lil-Malāyīn. . Ibn Khallikān (1972) wafayāt al-aʻyān wānbāʾ al-Zamān, Bayrūt, Dār Ṣādir.

19. al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍá al-Ḥusaynī, (2015), (t1205h / 1791m). Tāj al-ʻarūs min Jawāhir al-Qāmūs.

20. al-Samʻānī, ʻAbd al-Karīm ibn Muḥammad (1962) : al-ansāb, taḥqīq : ʻAbd al-Raḥmān ibn Yaḥyá al-Yamānī wa-ghayrihi, Ḥaydar Ābād, Majlis Dāʾirat al-Maʻārif al-ʻUthmānīyah.

21. al-Maqdisī, Muḥammad ibn Aḥmad al-Bashārī, (1991m), (t 380h / 990m) : Aḥsan al-taqāsīm fī maʻrifat al-aqālīm, ṭ3, Dār Ṣādir, Bayrūt, Līdin, al-Qāhirah, Maktabat Madbūlī.

22. al-Nābulusī, ʻAbd al-Ghanī al-Shaykh al-ʻĀrif (1991m) : al-ḥaḍrah al-Insīyah fī al-Riḥlah al-qudsīyah, taḥqīq Aḥmad Ḥasan al-ʻUlabī, ṭ1ālmṣādr.

23. Yāqūt al-Ḥamawī, Shihāb al-Dīn Abū ʻAbd Allāh Yāqūt ibn ʻAbd Allāh al-Rūmī, (1995) (t 626h / 1228m) : Muʻjam al-buldān, ṭ2, Bayrūt, Lubnān, Dār Ṣādir.

Modern Arabic references:

1. al-Bīshāwī, Saʻīd (1991), Dirāsāt fī Tārīkh al-ḥurūb al-Ṣalībīyah, Nābulus fī ẓill al-Awḍāʻ al-siyāsīyah wa-al-Ijtimāʻīyah wa-al-thaqāfīyah wa-al-iqtiṣādīyah fī ʻaṣr al-ḥurūb al-Ṣalībīyah, al-Maktabah al-Waṭanīyah, Nābulus.

2. al-Bakhīt, Muḥammad ʻAdnān (1996) : Nābulus wa-nawāḥīhā fī al-qarn al-sādis ʻashar ʻalá ḍawʾ alwqfyāt allatī tḥtfẓ bi-hā sijillāt al-dawlah al-ʻUthmānīyah ", Majallat al-Manārah, Jāmiʻat Āl al-Bayt, al-mujallad 1, al-ʻadad 6, Jāmiʻat Āl al-Bayt, al-Mafraq.

3. al-Dabbāgh, Muṣṭafá Murād (1988), bilādunā Filasṭīn, Ṭ1, Bayrūt.

4. Shurrāb, Muḥammad Muḥammad (2000). m‘j buldān Filasṭīn, ṭ2, al-Ahlīyah lil-Tawzī‘ wa-al-Nashr, ‘Ammān, al-Urdun.

5. Mazrū‘ah, Muḥammad Maḥmūd (2016), Dirāsāt fī al-firaq al-Islāmīyah, Ṭ1, Dār al-Yusr, al-Qāhirah.

6. ‘Arafāt, Naṣīr Raḥmī (2012), Nābulus Madīnat al-ḥaḍārāt, Markaz aḥyā’ wa-Tanmiyat al-Turāth al-Thaqāfī, Nābulus.

Unpublished master's theses:

1. ‘Alāwinah, Shāmikh. (1998). Nuqūsh Muḥāfaẓat Nābulus fī al-‘aṣr al-Mamlūkī wa-al-‘Uthmānī, Jāmi‘at al-Quds. Filasṭīn

2. klbwnh, Allāh (1998). Masājid Nābulus al-tārīkhīyah, Jāmi‘at al-Quds, Filasṭīn.

3. Qa‘qūr, Fidā’ (2012). al’sblh al-mā’īyah fī al-‘Imārah al-Islāmīyah. Jāmi‘at al-Najāḥ al-Waṭanīyah. Filasṭīn.

Foreign references:

Conder, C. R., The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291 A.D., London١٨٩٧

Jaussen,J,A(1926),Inscriptions Arabes of Neapluse,B.I,F,Q,Caire